الغرر الحسان في أخبار ابنا الزمان – دراسة نقدية

الشهابيون أسرة عربية تنسب إلى مالك (الملقب بشهاب) من بني مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (المسمى قريشاً) بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان المنتسبة إليه العرب المستعربة[1].

الأمير حيدر ابن الأمير أحمد ابن الأمير حيدر الشهابي[2] ولد في 21 شباط سنة 1761 (1174 هـ)[3] في قرية المعاصر التحتا المعروفة اليوم بمعاصر بتدين في جوار دير القمر. وتوفي في دير القرقفة سنة 1835 (1251 هـ)[4]. وكان إبصاره النور يترافق مع التمزق الداخلي والنفسي للأسرة الشهابية الحاكمة حتى أن أبوه أحمد نازع عمه منصور[5] على إمارة جبل لبنان الشهابية بين العامين 1761 و1770[6] بعد قرن من وراثة الحكم المعني. ففي العام 1679 اجتمع الاعيان الدروز في بلدة السمقانية في الشوف واقرّوا ميثاقاً شفوياً عُرف بالميثاق الشهابي (1697–1840)، وشكّلوا بعد ذلك نوعاً من مجلس تمثيلي. وكان لهذا الأخير بعض الصلاحيات من بينها اختيار أمير على جبل لبنان من الأسرة الشهابية السنّية، والموافقة على السياسة الضرائبية وعدد من الأمور المتعلقة بالإدارة المحلية. ومما يسترعي الانتباه قوة التعاطف القيسي الذي طغى على كل الاختلافات المذهبية، فاختير الشهابيون السنّة خلفًا للمعنيين الدروز.

---

[1] **العرب المستعربة** هم بنو يعرب بن قحطان، وبنو معد بن عدنان بن أد، وقد أخذ أهل هذه الطبقة، بقبائلها وأجدادها اللغة العربية عن العرب العاربة، حسب الروايات، فيروى أن قحطان وأهله قد تعربوا (تحولوا إلى الكلام باللغة العربية) عند نزولهم اليمن واستقرارهم بها. إذ أن يعرب بن قحطان كان لسانه سريانيًا، ثم تحول إلى العربية وتحدث بها، فتعرّب. ومن هنا كان أصل التسمية. أن العرب المستعربة هم أصل العرب الآن، وإليهم ترجع أنسابهم، وهم العرب اللذين كانوا وقت ظهور الإسلام وبدء دعوته، ويذكر إنه عند تتبع الأنساب إن كان للعرب البائدة أو الباقية، سيلتقي كلًا من العرب العاربة والعرب المستعربة، عند جدٍ واحدٍ، وهو سام بن نوح عليه السلام.

طقوش، محمد، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت: دار النفائس، 2009.

[2] بعد موت الأمير أحمد المعني انقرضت سلالة المعنيين 1697 تداعى اعيان البلاد إلى انتخاب الاميرالشاب بشير شهاب اميرا على البلاد وما .ان تم انتخابه حتى اصر العثمانيون على تسليم الامارة إلى حيدر الشهبي (الأول)، وسوي الامر باستلام بشير للامارة ريثما يبلغ حيدر سن الرشد.

[3] رستم، أسد، إفرام البستاني، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**، بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية ،1969 ص5.

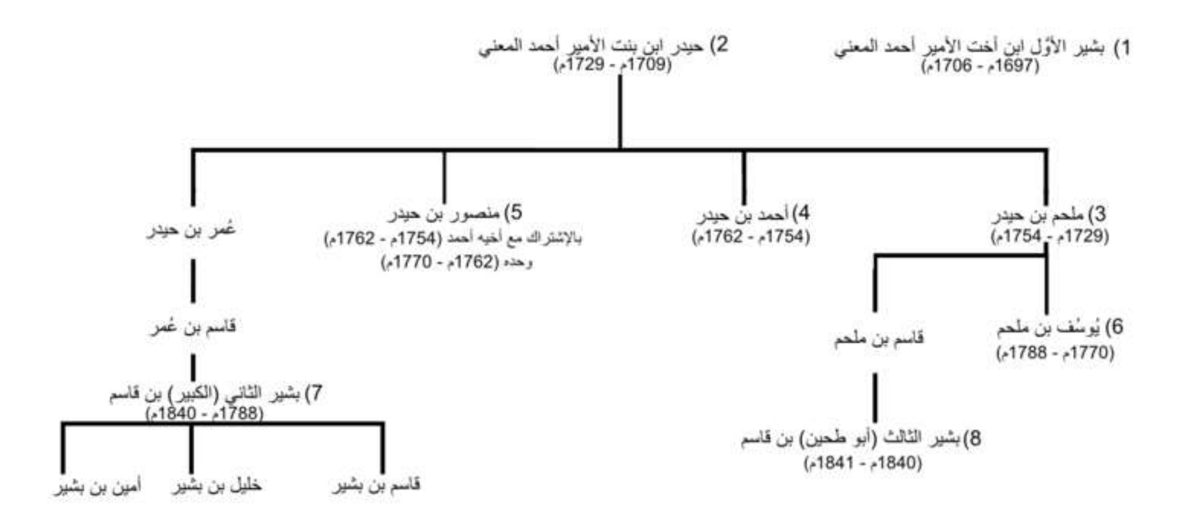
[4] إفرام البستاني، **أخبار الأعيان في جبل لبنان، الشيخ طنوس الشدياق**، بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية 1970 ص 62

[5] **أ- أحمد بن حيدر الشهابي** هو أحد أمراء جبل لبنان من آل شهاب، وابن الأمير حيدر الشهابي وأخو الأميرين منصور الشهابي وملحم الشهابي، استطاع تولي الحكم مشاركتةً مع أخيه منصور الشهابي في الفترة بين 1754 و1762، بعد مرض أخيهما ملحم الشهابي، وحكما معًا حتى استطاع منصور الإطاحة بأخيه أحمد في 1763.

ب- منصور الشهابي هو أحد أمراء جبل لبنان من آل شهاب،حكم في الفترة بين 1754 و1770. تولى مع شقيقه أحمد الشهابي مقاليد السلطة بعد مرض أخيهما ملحم الشهابي، وحكما معًا حتى استطاع منصور الإطاحة بأخيه أحمد في 1763. تحالف منصور مع ظاهر العمر وعلي بك الكبير في تمردهم ضد العثمانيين. أُجبِر منصور على التنحي بعد ضغوط شيوخ الدروز في جبل لبنان، وترك الحكم لصالح ابن أخيه يوسف الشهابي بعد هزيمة ظاهر العمر وعلي بك الكبير في عام 1770.

William, Harris, **Lebanon: A History, 600 - 2011**, Oxford: Oxford University Press, 2012.

[6] الصليبي، كمال سليمان ، **تاريخ لبنان الحديث**، بيروت: دار النهار للنشر 2002، ص 322.



شب الأمير المؤرخ وسط هذه البيئة المضطربة التي تسودها الانتهازية والتضحية بالغالي والنفيس من أجل المحافظة على السلطة والمكانة الاجتماعية. وكان الأمير حيدر، إبن هذه العائلة الحاكمة المستجدة، كثير التنقل في أنحاء جبل لبنان فتارة يقيم في دير القمر وطوراً يجول في مناطق الشوف والمتن. وبما أنه أحد أفرد الأسرة الشهابية فقد كان الأمير بشير الكبير[7] يُكلفه ببعض المهام الإدارية والأمنية[8]، وكان الأمير حيدر بطبعه يهتم بالشؤون السياسية، بخاصة حل الخلافات بين الأمير بشير ورجالات البلد.

مع بدء خريف العمر اتخذ الأمير حيدر قرية شملان مركزاً له، وفي سنيه الأخيرة كان المؤرخ يقضي فصل الشتاء في دير القرقفة في كفرشيما.

على الصعيد الأُسري رزق الأمير خمسة أولاد ذكور توفوا صغار فدفنهم في شملان إضافة إلى ابنتين. وكان مؤرخنا مولعاً بالصيد ومقاتلة الأدياك إضافة إلى ولعه بالتاريخ [9]. وكان من أبرز تلاميذه ناصيف اليازجي (1800-1871) الذي درس بمعيته[10]. إضافة إلى أحمد فارس الشدياق (1805 -1887) الذي التحق به ناسخاً ومساعداً[11].

تتضارب المعلومات حول أخلاقيات الأمير المؤرخ. فمن جهة نجد صفات القداسة التي أسبغها عليه الأب عمانوئيل البعبداتي في كتابه **تاريخ الرهبانية الأنطونية**، إلى النقيض التام في وصف الأمير

[7] **الأمير بشير الثاني الشهابي الكبير** هو أحد أمراء جبل لبنان من آل شهاب، الذين حكموا المنطقة من سنة 1697 حتى 1842. يُعتبر أحد أشهر الأمراء في تاريخ لبنان وبلاد الشام عمومًا، وأحد أبرز ولاة الشرق العربي في العصور الحديثة، كما أنه آخر الأمراء الفعليين للبنان، إذ أن الأمير الذي تلاه كان مجرد أمير صوري تمّ تعيينه من قبل العثمانيين على عكس الأمراء السابقين الذين كان يختارهم أعيان الشعب. حكم الأمير بشير الثاني جبل لبنان خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر وصولاً حتى منتصف القرن التاسع عشر.
زيدان، جرجي، **تراجم في مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر**، الجزء الأول، بيروت: موسسة هنداوي، 2011.

[8] Farah, Caesar E.; Centre for Lebanese Studies, **Politics of Interventionism in Ottoman Lebanon, 1830–1861**, London: I. B. Tauris, 2000.

[9] المعلوف، عيسى إسكندر ، **الأمير حيدر الشهابي**، مجلة الكلية عدد 11، ص 322.

[10] الصليبي، مرجع سابق، ص 187.

[11] المصدر نفسه، ص 189.

حيدر الذي قام به تلميذه أحمد فارس الشدياق في كتابه **الساق على الساق** حيث أشار إليه بـ "من اسمه على وزان بعير بيعر"[12].

وفي زمنه كان جبل لبنان يعيش تحت وطأة صراع العصبيات بين الحزب القيسي والحزب اليمني الممتدة في جذور الوعي العربي[13] ووفدت من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام، ولجبل لبنان من كل فتنة نصيب. فكان التنوخيون والمعنيون والشهابيون وآل حمادة وتلحوق وجنبلاط وأبي اللمع والخازن قيسيين، بينما كان آل علم الدين وأرسلان ونكد وعساف يمانيين[14]. وأضيف لها محلياً الصراع الغرضي بين الحزب الجنبلاطي والحزب اليزبكي[15]، والذي تفجر بعنف في عصر المؤرخ حيدر الشهابي[16] الذي دوّن الصراع الداخلي بتفاصيله[17]، مع ذكر الدور العثماني في الإستفادة من التناقضات المحلية بين الولات الرئيسيين وعمالهم في المناطق المتفرعة[18].

مؤلفاته:

---

12 الشدياق، أحمد فارس ، **الساق على الساق**، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت، ص 101.

* نظراً للتناقض التام في وصف أخلاقيات الأمير المؤرخ حيدر الشهابي، إرتئيت عدم الخوض في هذه المسألة، ولكن لمن يحب الإطلاع أكثر على هذه المسألة الشائكة يمكن العودة الى المراجع التالية:

أ – البعبداتي، عمانوئيل ، **تاريخ الرهبانية الأنطونية**، بيروت: المكتبة الأنطونية، 1992، ص 423.

ب– الشدياق، **الساق على الساق**، مرجع سابق، الفصل الخامس: **قسيس وكيس وتحليس وتلحيس** ص 100، وكذلك الفصل الثامن عشر: **في الخس** ص 169.

ج– رستم، مرجع سابق، ص ز.

13 ابن الأثير، علي، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر تدمري، بيروت: الكتاب العربي، 1997، ص ص 373 – 274.
لقد تأجج الصراع بين القيسية واليمنية أثناء الفتنة بين بني أمية وابن الزبير، حيث أيد القيسية ابن الزبير الحجازي الأصل وأيد اليمنيون الأمويين اصهارهم (وبنو أمية وابن الزبير حجازيون لكن الأمويون صاهروا اليمنية ليكونوا لهم أنصارا). ويبدو ان الخلاف اقدم من ذلك فالمعروف ان بلاد الشام كانت تنزلها سلالات هاجرت أصولها القديمة من اليمن قبل الاسلام بعهود طويلة فطال استيطانها ثم ما لبثت ان طرأت عليها مع الفتح قبائل حجازية شاركتها الاستيطان وقد عرفوا باسم العدنانيين او النزاريين ثم غلب عليهم اسم القيسية وقد تكاثر اليمنيون والقيسيون فعموا بلاد الشام بما فيها فلسطين والأردن ولبنان.

14 الصليبي، مرجع سابق، ص - ص. 33 – 39.

15 تعود جذور هذا الصدام إلى العام 1612 في زمن الإمارة المعنية. حيث نشب الخلاف بين محافظ قلعة شقيف أرنون جنبلاط جنبلاط وأحد قواده يزبك بن عبد العفيف عماد الذي كان في مهمة عسكرية، وتحزب كل فريق لقائده. والزعامتان، المتفرّعتان عن أصول اجتماعيّة أساسها ملكيّة الأرض والنفوذ الإقطاعي.
الصفدي، أحمد، **لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني**، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1936، ص. 32 – ص. 36.

16 الشهابي، الغرر الحسان، ص. 15، وص – ص. 49 – 50.

17 أدى التكتل القيسي إلى تكتل يمني بالمقابل، وبلغ الصراع بين الحزبين أوجه حين اشتبكا في قتال دامٍ في موقعة عين دارة سنة 1711 (وقعت بين قوات اليمنيين، بقيادة الشيخ محمود أبو هرموش وأمراء آل علم الدين، وبين المعسكر القيسي، الذي ضمّ رجال الإقطاع الدروز من أبناء القاضي التنوخيين وآل نكد وجنبلاط وعبد الملك وتلحوق) والتي هُزم فيها الحزب اليمني، ولجأ من سلم منهم إلى جبل حوران. وكان من نتائج هذه الموقعة أيضًا إعادة النظر في التقسيمات الإدارية لبلاد الشام حيث أنشئت ولاية رابعة هي ولاية صيدا عام 1660 التي سلخت عن ولاية دمشق، وضمت إليها صنجقي صفد وصيدا مع بيروت لإحكام الرقابة على جبل لبنان من ناحية، ولإتاحة المجال لولاة دمشق للاهتمام بمسؤولياتهم المتزايدة من ناحية أخرى. ومن نتائج معركة عين دارة أيضًا إعادة النظر في التقسيمات الإقطاعية في جبل لبنان.
Abu Izzeddin, Nejla M., **The Druzes: A New Study of Their History, Faith, and Society,** NY: Brill, 1993.

18 ربطُ المؤرخ حيدر الشهابي رضا الدولة العثمانية عن المقاطعجية المحليين بالانضباطِ والهدوء وتوفير الأمنِ للرعايا، فضلا عن تحصيلِ وأداءِ الضرائب في أوقاتها. ومثالاً على ذلك، ما وردَ على لسانِ والي عكا عبد الله باشا مخاطبًا الأمير بشير "من باب أولى أن إذا ابتعدَ الخادمُ عن خدامةِ مخدومه، فالمخدومُ يستخدمُ غيره. فلزم اننا نصبنا مكانك اميرين من الجبل. والان حيث انك طالب استعطاف الخاطر منا، وتراميك على بسط مراحمنا، لك منا الأمان... وان بدا لك عايق عن الحضور يكون مرادك التعلق بخدمة غيرنا ولم يعد يحصل لك الرضا".
الشهابي، الغرر الحسان، ص. 666.

من المرجح أن مخطوطة **الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان** هي الوحيدة الموثقة التي تعكس منهجية ومضمون المؤرخ حيدر الشهابي.

ولقد ذكرت نسخ أعمال الأمير حيدر في المجلد العاشر من دائرة المعارف العربية للبستاني[19]، واهتم بها شاكر شقير معاون البستاني في العمل الذي قال في هذا الصدد: "للأمير حيدر تاريخ حوى كثيراً من الوقائع التي يعزّ وجودها في غيره، قسمه إلى ثلاثة أجزاء، يبتدئ الجزء الأول منها قبل الهجرة وينتهي بانقراض المعنيين. ويبتدئ الجزء الثاني بولاية الشهابيين على جبل لبنان وينتهي بحكومة سليمان باشا والي عكا. ويتضمن الجزء الثالث ما وقع بعد ذلك إلى تولي الحكومة المصرية على بر الشام". ويذكر شقير أيضاً: "للأمير تاريخ آخر يتضمن جميع الوقائع التي حدثت في ولاية الأمير بشير الكبير مع ما تبعها من الحوادث إلى أن توفي المؤرخ". إلا أن هذا التاريخ غير مطبوع وضاع مع الزمن.

ويرجح إسكندر المعلوف أن مخطوطة **نزهة الزمان في حوادث عربستان** الموجودة في ارشيف الجامعة الأميركية هي من آثار الأمير حيدر.

وتجدر الإشارة إلى صدور طبعة شاملة عام 1318 هـ /1900م في القاهرة صادرة عن مطبعة السلام بعنوان: **تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي**، ذكرت وجود مؤلفين آخرين هما:

أ- نزهة الزمان في تاريخ جبل لبنان.
ب- الروض النضير في ولاية الأمير بشير.

[19] البستاني، بطرس، **دائرة المعارف العربية** ، ج 10، المقال شهاب الأمير حيدر أحمد، بيروت 1883.

الغرر الحسان في أخبار ابنا الزمان

لما توفي الأمير حيدر أحمد سنة 1835 تبعثرت مكتبته وضاعت النسخ الأصلية من تاريخه الخطي[20]. وخلال النهضة الثقافية للجامعة اللبنانية خلال العقد السادس من القرن الماضي قرر الدكتور أسد رستم والدكتور فؤاد فرام البستاني** مراجعة النسخ الخطية من أجل إعادة نشر الكتاب فتم العثور على عدة نسخ[21] وهي:

أ – النسخة الأولى: وهي رقم 160 من مجموعة الآباء اليسوعيين في بيروت. طولها 31 سنتمتراً وعرضها 20 سنتمتراً، وعدد صفحاتها 513 صفحة مرقمة من صفحة 425 إلى 938، وفي كل صفحة منها ما بين 26 و33 سطراً. أما خطها فإنه من النوع النسخي وورقها من النوع الإبادي المتعارف عند العامة بالعبادي والذي شاع استعماله في ذلك العصر.

وهي الجزء الثاني من تاريخ الأمير، تبتدئ بأخبار سنة 1109 هجرية (1697 م) وتنتهي بأخبار سنة 1234 هجرية (1818 م). وقد كتب المؤلف عليها بخطه في الصفحة الأولى ما يلي: "الجزء الثاني من تاريخنا المسمى غرر الحسان في أخبار إبنا الزمان". وجاء بخطه في آخر المخطوطة "تم الجزو الثاني أطلب كماله الشرح في الجزو الثالث إبتداه سنة "1234. وبهامش هذه النسخة بعض كلمات أو جمل إستدركها المؤلف بخطه أيضاً. ومما هو جدير بالذكر أن قسماً مهماً من أسعار الحاجيات، في آخر أخبار كل سنة، هو بخط الأمير المؤلف نفسه.

ب– النسخة الثانية[22]: وهي رقم 161 من مجموعة الآباء اليسوعيين طولها 20 سنتمتراً، وعرضها 14، عدد صفحاتها 99، وفي كل صفحة منها حوالي 20 سطراً، خطها من النوع النسخي وورقها عبادي أيضاً. وهي تبتدئ بأخبار سنة 1204هـ (1789م) وتنتهي بذكر حوادث سنة 1245هـ (1829م) ولم يوجد من خط المؤلف فيها إلا النزر اليسير، وجميعه من قبيل التصحيح والاستدراك.

---

20 رستم، مرجع سابق، ص ط.

** يروي الدكتور فؤاد افرام البستاني قصة لقائه والدكتور رستم حول مشروع نشر الأصول التاريخية، فيقول في فصل له بعنوان: **أسد رستم: العالم الإنسان، ذكريات شخصية وعبر إنسانية**، في كتاب: **أسد رستم، الإنسان والمؤرخ**: "ظهرت طبعتنا لتاريخ الأمير حيدر شهاب – وكانت أولى منشورات مديرية المعارف العامة – في مجموعة أصول التاريخ اللبناني، والكلام على أصول التاريخ كان من أولى محادثاتنا. حتى غدا همنا جميع أصول التاريخ اللبناني والعمل على نشره. وكان في طليعتها كتاب الأمير حيدر شهاب. أما كيفية العمل في إخراج الكتاب فكانت بسيطة جداً. اتفقنا على أن ينقل الدكتور رستم المخطوطة. منبهاً في ذلك لبعض المغايرات والفروق بينها وبين ما نقل عنها من نسخ وضعناها جميعاً في المقدمة. وأنا كان علي الإشراف على الطبع، والسهر على تمثيل الأصل بالدقة التامة، ثم إعداد الفهارس...".

21 رستم، مرجع سابق، ص يه.

22 المرجع نفسه.

ج- النسخة الثالثة: وهي 38044 من مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت. ابتاعتها إدارة المكتبة من الأستاذ عيسى أفندي إسكندر المعلوف، طولها 21 سنتمتراً وعرضا 15، عدد صفحاتها 76، وعدد أسطر كل صفحة حوالي 22، ورقها عبادي وخطها نسخي كخط أختيها. وهي غنية بخط المؤلف، فإنه علاوة على بعض الاستدراكات بالهامش، قد نسخ بيده مرسومين كاملين تاريخهما 24 شعبان سنة 1236هـ (1820م).

د- النسخة الرابعة: وهي رقم 39697 من مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت. طولها 21 سنتمتراً وعرضها 16، وعدد صفحاتها 430. خطها نسخي، وورقها عبادي، وفي ذيل الصفحة ما يدلّ على أنها كتبت سنة 1840م، أو ما قبلها.

هـ- نسخ عالي سميث، والتي هي بخط الشيخ ناصيف اليازجي وهي ثلاثة. وجميعها ملك الإرسالية الأميركية:

1- النسخة اليازجية الأولى، رقم 418 من مجموعة الرسالة الأميركية. طولها 21 سنتمتراً، وعرضها 14 سنتمتراً، عدد صفحاتها 258، وعدد أسطر كل منها حوالي الـ 17. وهي تبتدئ بأخبار سنة 1109هـ (1697م) وتنتهي بأخبار سنة 1215هـ (1800م).

2- النسخة اليازجية الثانية، رقم 141 من مجموعة الأميركية، بمواصفات النسخة السابقة وحجمها، وتتناول أخبار المدة نفسها مع شيء يسير من أخبار "الحملة الفرنساوية على مصر".

3- النسخة اليازجية الثالثة ، هي بمواصفات السابقتين، لكنها أقصر منهما. فإنها لا تتجاوز 163 صفحة. تبتدئ بأخبار سنة 1222هـ (1807م) وتنتهي بحوادث سنة 1236هـ (1820م).

وبذلك يمكن تقسيم المخطوطات إلى نوعين:

الأولى: منهما ترتقي إلى عهد المؤلف حاملة إصلاحاته واستدراكاته بخطه، فكأنه يمهرها بخاتمه ويؤيد كل ما فيها صادراً عنه.

الثانية: ترتقي إلى النسخة التي أصلحها الشيخ ناصيف اليازجي.

أما بالنسبة لتمحيص الكتاب[23] ومضمونه، فيمكن التركيز على المحاور التالية:

أ- المحتويات

يتناول هذا المخطوط التاريخي الأخبار السياسيّة، وبعض الأمور الاجتماعية والاقتصادية، وشيئاً من الحوادث الطبيعية، التي جرت في لبنان تحديداً. ولكن في بعض أجزاءه يعرض لبعض الحوادث في فلسطين وسورية وسائر أقطار الشرق الأدنى، وبعض البلدان الأوروبية المتوسطية.

بداية التأريخ بدأت مع ظهور الدعوة الإسلامية إلى قبيل وفاة المؤلف عام 1835. المخطوط مرتب، مثل غيره من التواريخ العربية، حسب السنين الهجرية. فيبتدئ بأخبار السنة الأولى للهجرة، وينتهي بحوادث النصف الأول من القرن الثالث عشر.

وقد قسمه المؤلف إلى ثلاثة أقسام ينتهي أولها بأخبار سنة 1108هـ (1696م)[24]، والثاني بحوادث سنة 1234ه (1818م)[25]، والثالث بما ورد قبيل سنة 1251هـ (1835م)[26] واسم الجامع للأقسام الثلاث هو **الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان.**

إن هذه السلسة تعتبر المرجع الأهم لتاريخِ لبنان في القرن الثامن عشر والثلث الأول من القرن التاسع عشر، فهي تعرض الأخبار السياسية بشكل رئيسي، ولكن في سياق النص نتعرف على التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، كما تروي الكوارث الطبيعية، مما يؤشر إلى قدرات المؤرخ السردية وملكته الكتابية.

تصدّر الجزء الأول مقدمة للمؤرخ يذكر فيها أنه اطلع على بعض كتب المؤرخين واختار منها ما هو مشهور عن علماء تلك العصور، ويتحدث بإيجاز عن تاريخ عرب الجاهلية وانقسامهم إلى فرقة بائدة

---

23 أسد رستم مرجع سابق ص يه

24 **القسم الاول: لبنان والاقطار المجاورة في القرن الثامن عشر** . (n.d.). Digital Library Technology Services – A unit of NYU Libraries and NYU IT. https://dlib.nyu.edu/files/books/aub_aco001919/aub_aco001919_lo.pdf?fbclid=IwAR13bOIR4EXdAQlpbodq7gVOC6580x_gpeD4F1VyeOUTIaudhrFoC9eEupo

25 **القسم الثاني: الحملة الفرنساوية علي مصر وأوائل حكم الامير بشير الثاني** . (n.d.). Digital Library Technology Services – A unit of NYU Libraries and NYU IT. https://dlib.nyu.edu/files/books/aub_aco001920/aub_aco001920_lo.pdf?fbclid=IwAR1d9lJu-6iuFz33oT2ewz5-Ps-enbnVudbTFO6a6ul1iqF99dzbVPSpaMc

26 **القسم الثالث: لبنان في عهد الامير بشير الثاني** . (n.d.). Digital Library Technology Services – A unit of NYU Libraries and NYU IT. https://dlib.nyu.edu/files/books/aub_aco001921/aub_aco001921_lo.pdf?fbclid=IwAR1QceznYBcV57Jx8-wo41aNfYxZqv268PB91YWmLMkfoCMR_7NlhF4zacA

وفرقة ناجية، وتفرّع الفرقة الباقية إلى العدنانيين والقحطانيين، وأن سائر عرب الجاهلية كانوا طبقتين: آل مدر، وآل وبر، ويبين المؤلف عبادات أهل الجاهلية وعلومهم.

بعد ذلك ينقسم السرد إلى ثلاثة محاور رئيسية وصولاً إلى زمن السلطنة العثمانية:

الأول: تاريخ النبي والخلفاء الراشدين.

الثاني: خلفاء بني أمية.

الثالث: دولة العباسيين.

يبدأ الباب الأول بحياة رسول الله، فيذكر نسبه ووقائع حياته قبل النبوة، ثم نزول الوحي عليه، وهجرته إلى المدينة، وغزواته سنة فسنة، ثم يتحدث عن فرق الإسلام المتعددة، وفي الفصول الخمسة التالية يتحدث عن الخلفاء الراشدين: أبي بكر، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، والحسن بن علي.

الباب الثاني يحتوي على ثلاثة عشر فصلاً يخصص كل فصل لأحد خلفاء بني أمية بدءاً بمعاوية وانتهاءً بمروان بن محمد.

الباب الثالث يحتوي على سبعة وثلاثين فصلاً تناول فيه خلفاء بني العباس بدءاً بأبي العباس السفاح وانتهاء بالمستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس، والباب الرابع في دولة الأتراك التي ابتدأت بالمعز إيبك التركماني وينتهي بحكم الملك حاجي ابن شعبان، وعدد فصوله خمسة وعشرون فصلاً بعدد سلاطين المماليك الأتراك.

الباب الخامس يختص بدولة المماليك الجراكسة التي تبدأ بالظاهر برقوق الذي تسلّم الحكم سنة 784هـ، ويورد منها المؤلف خمسة فصول فقط تتعلق بخمسة من سلاطينهم، وهم كل من: الظاهر برقوق، وفرج زين الدين، والشيخ المحمودي، والملك المظفر أحمد، والملك الأشرف.

الباب السادس في الدولة العثمانية، وبعد أن يذكر المؤلف أوائل سلاطينهم وهم: عثمان الغازي، ومراد الأول، وبايزيد، ومحمد الأول، ومراد الثاني، يخصص المؤلف فصلاً لكل سلطان من سلاطين العثمانيين التالين بدءاً بمحمد الفاتح وتتوالى الفصول وعددها ثلاثة عشر فصلاً وتنتهي بالسلطان محمد الرابع.

تتخلل هذه الفصول المتتابعة فصول استطرادية، يتناول كل منها سلالة حاكمة في أحد الأقطار، مثل فصل عن أصل الأمراء المعنيين، وفصل عن الحاكم بأمر الله، وفصل في دولة المغول والتتر.

ب – المصادر

يظهر من مطالعة القسم الأول من المؤلف، إن هذا القسم منقول عن تواريخ الطبري، والمسعودي، وابن الحريري، وابن سباط، وغوليامو‌س صاحب صور، وبارنيوس، وصالح بن يحي، والخالدي الصفدي. وأكثره عن تاريخ الطبري كما صرّح بذلك المؤلف نفسه في المقدمة.

أما أخبار الجزئيين الأخيرين فإنها مأخوذة، على ما يظهر، من مذكرات الأمير الخصوصية، ومن الفرمانات الرسمية، والمخاطبات التي كانت تدور بين ولاة الجبل ورجال الدولة، ومن أقوال المؤرخين المعاصرين كالقس حنانيا منير، والقس روفائيل كرتمة، والقس قسطنطين طرابلسي، والمعلم نقولا الترك، والمعلم يوسف العورا، والشماس أنطونيوس العينطوريني، والجبرتي، والمعلم إبراهيم العورا، وغيرهم.

ج – طريقة المؤلف في التدوين – معاونوه

يتضح من مخطوطاته الأصلية جميعها، ومن أقوال معاصريه أنه كان يعد دفاتره، فيأمر كتّابه أن يستنسخ له هذا الخبر وذاك مما كان لديه من التواريخ، وأن يتركوا بياضاً هنا وهناك لأجل الزيادة.

ويظهر أيضاً من مطالعة المخطوطات نفسها، ومما ورد فيها من خطه، أنه كان ينسخ أحياناً بيده، وأنه كان يقرأ ما يأمر باستنساخه. ولعل في أقسام هذا التاريخ ما كان يملى إملاء على النساخ، يدلّ على ذلك بعض الأغلاط الإملائية [27] في كثير من الكلمات التي يظهر الخطأ في كتابتها وتكون صحيحة إذا سمعت ملفوظة، كما ورد في تصحيف الشطر التالي: (ولا أهلي أرى أهلي) فكتب الكاتب: (ولا أهلي آراء أهلي)، وفي تصحيف (ذاقوا) التي كتبت (ضاقوا).

وهذا التصحيف الأخير يدل على أن الكاتب من بلاد الشوف، وقد يكون من الدروز أو من أبناء القرى المختلطة، هذا إذا كان المملي لفظ (ذاقوا) بالذال العجمية. ولا يخفى أن الدروز ومجاوريهم يميلون بلفظ الضاد إلى شيء من الصفير، وهو اللفظ الأصلي. فيكون الكاتب قد رسم الكلمة على حسب لفظه هو. أما إذا كان المملي قد لفظ (داقوا) بالدال المهملة، وهو كثير بين عامة لبنان، فيكون الكاتب أما من نصارى قرى الشوف الداخلية في منطقة الجرد الجنوبي أو المناصف، وأما من نصارى المتن الأعلى. وهؤلاء يفخمون الدال حتى يخرجونها ضاداً سوية في ما عدا الصفير. وأمثال هذه التصحيفات كثيرة في هذا التأريخ، والمثال السابق مجرد دلالة تفيدنا عن طريقة إملاء الكتاب وعن صفات كاتبيه وناسخيه.

وممن تعاطوا مهنة النسخ، لدى الأمير حيدر، أحمد فارس الشدياق وسلوان أبو نحول وفرنسيس بو نجم، والشدياق أنطون الديراني. ويروي الشيوخ أن الأمير أجرى الصلات للأدباء. فكثروا حوله وساعدوه

[27] رستم، مرجع سابق، ص يب.

في جمع تاريخه منهم أسعد الشدياق، والمعلم بطرس كرامه، والقس حنانيا المنير[28]، ومع هذا فان الكتاب لا يخلو من بعض "مظاهر السهو والخطاء"[29] والتي لا تنقص من قيمة هذا الارث العظيم.

منهجية المؤرخ حيدر الشهابي

لقد إرتبطت كتابات الأمير حيدر بالمنهجية السائدة في عصره والتي تتميز بالتالي[30]:

1- الارتباط بالمنهجية العربية في أدنى مستوياتها العلمية وتقليدها بشكل أعمى وخال من العقوبة.
2- التحلل من الإسناد الدقيق والميل إلى تصديق كل شيء حتى لو كان رواية مستهجنة عن الخوارق والأمور الغريبة.
3- الإرتكاز على بعض الوثائق الطائفية أو العائلية والروايات الشفهية في شكلها الأساسي الخام.
4- التحلل من نقد الرواية والراوي.
5- التحلل من كل أنواع التحقق والضبط والتعديل والتجريح والتعليل.
6- ركاكة في الإسلوب تختلف نسبها مع الزمن الذي ينتسب إليه الكاتب.
7- سرد الأخبار والحوليات بتسلسل زمني وعلى طريقة الرواة العرب.
8- السير على خطى النسابين العرب، خاصة فيما يعود للكلام عن عائلات الأعيان.
9- المبالغة وتغيير صورة الواقع.
10- رؤية الأمور بعين الزمن الذي تدون فيه الرواية لا في زمان حصولها.
11- تفشي الروح القدرية والسذاجة.

أما هدف الأمير حيدر الشخصي من كتاب التاريخ فقد عبر عنه أحمد فارس الشدياق بأنه كان إمساكاً للحوادث من أن تتفلت من مجار الأيام. أو أن تنفك من سلسلة الأحوال. فإن كثير من الناس يرون أن إحضار الماضي وجعله حالاً منظماً من الأمور العظيمة[31] وهو بذلك "يحاكى لمارتين وشاتوبريان في مذكراته"، كما أشار الشدياق أيضاً.

---

[28] المعلوف، مرجع سابق، ص .223

[29] المرجع ذاته: المقدمة: يج.

[30] قطار، الياس ، **مؤرخون من لبنان**، عمشيت: مطبعة عمشيت، 1998، ص 125.

[31] الشدياق، مرجع سابق، ص 101.

أما منهجية المخطوط الخاصة، فيمكن عرضها عبر النواحي التالية:

1- **التقميش:** لقد تميز الأمير حيدر باعتماده على الوثائق مما أغنى هذا المؤلف إضافة إلى نقله عن أهم المؤرخين العرب، خاصة الطبري، كما صرح بذلك المؤرخ نفسه في مقدمة الكتاب. إضافة إلى المسعودي وابن العبري وابن الحريري وابن سباط وغوليلموس وبارونيوس وصالح بن يحي والخالدي الصفوي، وذلك في الجزء الأول.

أما أخبار الجزئين الثاني والثالث فإنها مأخوذة من مذكرات الأمير الخصوصية ومن الفرمانات الرسمية والخطابات التي كانت تدور من ولاة الجبل ورجال الدولة، ومن أقوال المؤرخين المعاصرين كالقس حنانيا منير والقس روفائيل كرامي والقس قسطنطين طرابلسي والمعلم نيقولا الترك والمعلم يوسف العورى والشماس أنطونيوس الهينطورين ومؤلف تاريخ الجزار والجبرتي والمعلم إبراهيم العورا في أخبار سليمان باشا وعبدالله باشا وغيرهم (وكنا قد ذكرنا هؤلاء المؤرخين في معرض حديثنا عن مصادر الكتاب) وبذلك يكون الأمير حيدر قد قمش معلوماته من مختلف المصادر المتعلقة بتلك الفترة الزمنية التي يغطيها كتابه وبذلك تميز بعمله التجميعي.

2- **العلوم المساعدة:** استعمل الأمير حيدر ما كان متعارف عليه في عصره من العلوم المساعدة وخاصة الجغرافية والاقتصاد. حيث سرد تفاصيل انتقال الشهابيين من الجزيرة العربية إلى جبل لبنان، وكذلك تحدث عن أسعار الحاجيات في آخر أخبار كل سنة. فمثلاً سنة 1205هـ بالنسبة للحرير سعر الرطل 24، وكيل الحنطة سعر 312 ورادت العملة المشخص 4/5 والاسطنبولي 4/4 والمصري سعر 4[32]. أما العلوم المساعدة الأخرى فلم يكن من المتعارف استخدامها في ذلك العصر.

3- **العدالة والضبط:** إن الأمير حيدر لم يعتني بضبط أخباره ولم يمحّص حقائق تاريخه، وهذا أمر ظاهر لا مجال للجدال فيه وأن من يراجع الأخبار يرى عدم الضبط فمثلاً القتال الذي جرى بين أسعد باشا والأمير ملحم مدوّن تحت أخبار 1757 هـ وتحت أخبار سنة 1168هـ.

4- **العرض:** جاءت لغة العرض ركيكة، فيها الكثير من التعابير العامية، ولا تخلو من السجع أحياناً كثيرة. وقد ذكر ناشراً الكتاب ما يلي: "وقد أبقينا نص المخطوطات على أصله بحروفه وغلطاته. وقد اتبعنا الخطة نفسها في نشر القصائد التي وردت في متن هذا الكتاب والتي هي لشعراء ذلك العصر

32 رستم، مرجع سابق، ص 165.

وليس للأمير المؤرخ. نعم إننا فضلنا إبقاءها كما وردت في مخطوطات الأمير من حيث الإضطراب والتصحيف والغلط أحياناً لأننا إنما ننشرها كما عرفها الأمير، لا كما يجب أن نعرفها[33]". وكان هناك الأغلاط الإملائية في كثير من الكلمات[34].

5- **إثبات الحقائق التاريخية:** لقد حفل الكتاب بالكثير من المغالطات التاريخية، فهو على سبيل المثال ورد مقتل أحمد زرو بين أخبار سنة 1218هـ (1803م) بدل 1216هـ (1801م) كما جاء في الجبرتي، إلى غير ذلك من مظاهر السهو والخطأ[35].

كما أن الأمير تجاهل واقعة تاريخية مؤثرة ولها تابعاتها ونتائجها ألا وهي عملية الإستبدال الديني للشهابيين[36] وردتهم عن دين الإسلام من أجل البقاء في الحكم وإرضاء الرعية[37]، فالموارنة في ذلك الوقت أصبحت لهم اليد العليا في إدارة اقتصاد الجبل، إضافة إلى تفوقهم السكاني على أقرانهم الدروز[38]. وعلى سبيل المثال لا للحصر نزح الأمير قاسم ابن عمر الشهابي إلى غزير حيث تنصر في 1767، وفي هذه السنة توفى[39]، وعند مراجعة كتاب (الغرر الحسان) نجد ذكر المؤرخ للوفاة دون الإشارة إلى عملية التنصر والردة، والتي تتوافق مع العام 1181هـ[40].

6- **تنظيم العمل:** لقد إعتمد المؤرخ حيدر شهاب على تسلسل الزمني للسنوات، وذلك منذ ظهور الإسلام إلى قبيل وفاة المؤرخ عام 1835.

وهو مرتّب مثل غيره من التواريخ العربية حسب السنين الهجرية. فيبتدأ بأخبار السنة الأولى للهجرة وينتهي بحوادث النصف الأول من القرن الثالث عشر[41] وقد قسمه المؤلف إلى ثلاثة أقسام.

أ- القسم الأول ينتهي بأخبار سنة 1108 هـ (1696)

---

33 رستم، مرجع سابق، ص يط.

34 المرجع نفسه، ص يب.

35 المرجع نفسه.

36 سليم الدحداح، **تنصر الأمراء الشهابيين واللمعيين في لبنان**، بيروت: المشرق، مجلد 18، 1920، ص ص. 543-544.

37 "لم يكن للأمراء الشهابيين كسنة حديثي القدوم إلى الشوف أي أصدقاء بين الدروز أصلاً. وقد كان الولاء الحقيقي بين الدروز محصوراً في زعماء العشائر الكبرى منهم. ولهذا فقد اضطر هؤلاء الشهابيون للسعي إلى الحصول على الدعم السياسي بشكل رئيسي من الموارنة والمسيحيين الآخرين الذين كان عددهم في تزايد مستمر في البلاد الدرزية. وبحلول النصف الثاني من القرن الثامن عشر بدأ الكثيرون من أفراد الاسرة الشهابية بالإرتداد إلى المسيحية، ملتحقين بالكنيسة المارونية. وبعد العام 1770، أو العام 1788 على الأكثر، لم يعين إلا الموارنة من الشهابيين كملتزمين للشوف وكسروان."

صليبي، كمال، **بيت بمنازل كثيرة: الكيان اللبناني بين التصور والواقع**، بيروت: مكتبة انطوان، 2018.

38 تتحدث بعض المصادر أن الموارنة شكلوا 80% من سكان جبل لبنان منتصف القرن الثامن عشر.

أبي يونس، ألكسندر، **السلطة في لبنان وخريطة الديموغرافيا التمايزية**، مجلة الدفاع الوطني - العدد 95 - كانون الثاني 2016.

39 الصليبي، مرجع سابق، ص 49.

40 رستم، مرجع سابق، ص 77.

41 المرجع نفسه، ص يا.

ب – القسم الثاني ينتهي بحوادث سنة 1234هـ (1818)
ج- القسم الثالث ينتهي بم ورد قبيل سنة 1351هـ (1835).

7- **التحليل والتعليل:** كانت هذه العملية الذهنية للمؤرخ عاكسة للعصر الذي عاش فيه. فأتت ضعيفة وخاصة في تعليله للأحداث وسببها. إضافة إلى إعطائه لأسرته دوراً يتعدى الدور الذي قامت به في تاريخ منطقة الشرق عامة، رغم دورها الحيوي على صعيد منطقة جبل لبنان.

الخلاصة

لقد ذكر د. أسد رستم ود. فؤاد إفرام البستاني ثلاثة حسنات لكتاب الغرر الحسان وهي[42]:
1- إنه أطول الأصول وأكبرها لتاريخ لبنان.
2- إن قسم مهم من الكتاب دون في العصر الذي وقعت فيه الحوادث.
3- إن راوي بعض الحوادث كان من أقرب المقربين لحكام ذلك العصر.

إن أهمية هذه السلسلة تنبع من ان الامير حيدر اعتمد في الجزئين الاخيرين على مذكراته الخصوصية التي لها اهمية كبيرة وهو حفيد الامير حيدر موسى الشهابي الذي تولى الامارة 1706-1729[43]. بالاضافة الى ذلك انتدب الامير حيدر مرارًا للاعمال السياسية والادارية والحربية.[44] كما يقول هو عن نفسه انه عند توليه ادارة الشوف سنة 1794 كانت له في تلك الظروف الحرجة مواقف تحلت بالحكمة والدراية. فهو اذن قريب من الاحداث تفاعل معها وشارك في حلحلة العقد الصعبة حتى نال ثناء معاصريه. كما كان على اطلاع على الفرمانات الرسمية، والمخاطبات التي تدور في الاوساط السياسية الفاعلة من ولاة الجبل واركان الدولة.

يسرد الشهابي في سلسلته تعقيدات النظام الإقطاعي في جبل لبنان، بحيث تتضح لنا علاقة الأمراء الإقطاعيين ببعضهم البعض، ويشرح تلك الروابط التي توحدهم أو تثير العداء والمنافسة وحتى الحروب بينهم. لقد عرض تفصيل المؤامرات والكمائن في بلاد الشام، وشرح العلاقة المعقدة مع الباب العالي في

---

[42] رستم، مرجع سابق، ص 77.

[43] **الأمير حيدر الشهابي حيدر بن موسى بن منصور الشهابي،** اول من حكم لبنان من الأمراء الشهابيين ولد ونشأ في حاصبيا. وفي صباه توفى الأمير أحمد المعني (سنة 1109هـ) في ديرالقمر، وانقرضت بوفاته السلالة المعنية، وكانت لها الولاية في جبل لبنان. فورد (فرمان) من الأستانة بتسمية الأمير حيدر هذا، واليا على المقاطعات التي كانت في أيدي آل معن لأنه ابن ابنة الأمير أحمد المعنى. وكان حيدر صغير السن، فقام عنه بأعباء الولاية أمير راشيا (بشير بن حسين) ولما بلغ حيدر الرابعة والعشرين من عمره مات بشير (سنة 1117هـ) وقيل دس له حيدر سما فقتله. وتسلم أعمال الولاية على الأثر. وصاهر آل (اللمعي) واستمر 26 سنة، وتوفى بدير القمر. وافترقت سلالته ثلاث فرق، تبعا لزوجاته: آل ملحم، وآل أم علي، وآل عمر. وكان موصوفا بالشجاعة والحلم والكرم وسداد الرأي.

[44] حيدر الشهابي، الغرر الحسان، المقدمة: ز.

اسطنبول وكون تنافس ولاة دمشق وعكا والمتعهدين التابعين لهم وطمعهم في الضرائب كان من الأسباب الجوهرية للتدخل الأوروبي في المنطقة.

إن سلسلة الغرر الحسان تعتبر المرجعَ الأهم لتاريخِ لبنان في القرن الثامن عشر والثلث الأول من القرن التاسع عشر، فالأمير حيدر الشهابي أول من كتب تاريخا شاملاً للبنان تناول الأخبار السياسية مفصلة، وروى عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وحتى الكوارث الطبيعية بطريقة سردية مبسطة، ومن هنا أهميتها التاريخية لكل الباحثين الراغبين بالتقصي عن أسس الرواية اللبنانية من شاهد عيان عاش في ذلك العصر، ولذا أقدم هذه الدراسة النقدية بهوامش تاريخية لكتاب **الغرر الحسان في أخبار ابنا الزمان**.

المراجع

1) أحمد فارس الشدياق، **الساق على الساق**، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة د.ت.
2) أحمد الصفدي، **لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني**، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1936.
3) أسد رستم، فؤاد إفرام البستاني، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**، بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية 1969.
4) الياس القطار، **مؤرخون من لبنان**، عمشيت: مطبعة عمشيت، 1998.
5) ألكسندر أبي يونس، **السلطة في لبنان وخريطة الديموغرافيا التمايزية**، مجلة الدفاع الوطني – العدد 95 – كانون الثاني 2016.
6) بطرس البستاني، **دائرة المعارف العربية** ، ج 10، المقال شهاب الأمير حيدر أحمد، بيروت 1883.
7) محمد طقوش، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت: دار النفائس، 2009.
8) جان شرف، لميا رستم، **أسد رستم، الإنسان والمؤرخ**، بيروت: المكتبة البوليسية، 1984.
9) جرجي زيدان، **تراجم في مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر**، الجزء الأول، بيروت: موسسة هنداوي، 2011.
10) علي ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر تدمري، بيروت: الكتاب العربي، 1997.
11) عمانوئيل البعبداتي، **تاريخ الرهبانية الأنطونية**، بيروت: المكتبة الأنطونية، 1992.
12) سليم الدحداح، **تنصر الأمراء الشهابيين واللمعيين في لبنان**، بيروت: المشرق، مجلد 18، 1920.
13) عيسى إسكندر المعلوف، **الأمير حيدر الشهابي**، مجلة الكلية عدد 11.
14) فؤاد إفرام البستاني، **أخبار الأعيان في جبل لبنان، للشيخ طنوس الشدياق**، بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية 1970.
15) كمال سليمان الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، بيروت: دار النهار للنشر 2002.
16) ----- ، **بيت بمنازل كثيرة: الكيان اللبناني بين التصور والواقع**، بيروت: مكتبة انطوان، 2018.
17) Caesar E. Farah; Centre for Lebanese Studies, **Politics of Interventionism in Ottoman Lebanon, 1830–1861**, London: I. B. Tauris, 2000.
18) Digital Library Technology Services – A unit of NYU Libraries and NYU IT.
19) Nejla M. Abu Izzeddin, **The Druzes: A New Study of Their History, Faith, and Society,** NY: Brill, 1993.
20) William Harris, **Lebanon: A History, 600 – 2011**, Oxford: Oxford University Press, 2012.